الاصطفاف لبناء الوطن والمحافظة عليه
مطلب شرعي وواجب وطني
٢٨ من ربيع الأول ١٤٣٧هـ الموافق ٨ من يناير ٢٠١٦م

أولا : العناصر :-

١- مكانة الوطن في الإسلام .

٢- من حق الوطن على أبنائه .

أ- حب الوطن والحفاظ عليه والدفاع عنه.

ب- التحذير من استهدافه ومحاولات تفكيكه.

ج- التحذير من إثارة الفوضى والهدم والتخريب والفرقة.

٣- ضرورة الاعتبار بحال الشعوب التي سقطت دولها في الفوضى والاقتتال الداخلي.

٤- ضرورة وحدة الصف والأخذ على أيدي دعاة الفرقة والتخريب .

٥- دعوات التظاهر ضد استقرار الوطن دعوات مريبة يجب التنبه لها والحذر منها ومن دعاتها.

٦- الدعوة إلى إسقاط الدولة جريمة شرعية.

ثانيا : الأدلـــة :-

الأدلة من القرآن:

١. قال تعالى:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[آل عمران: ١٠٣].

٢. وقال تعالى:{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[آل عمران: ١٠٥].

٣. وقال تعالى:{وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[الأنفال:٤٦].

٤. وقال تعالى:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}[المائدة:٢].

٥. وقال تعالى :{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}[الأحزاب: ٥٨].

٦. وقال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[الأعراف: ٥٦].

٧. وقال تعالى :{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}[البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٦].

الأدلة من السنة:

١. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لِمَكَّةَ : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ).[سنن الترمذي].

٢. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى الْحَزْوَرَةِ، فَقَالَ: (عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ) [مسند أحمد].

٣. وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سربِهِ ، مُعَافَىً في جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا) (رواه الترمذي).

٤. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا) [صحيح البخاري].

٥. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قال: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ)[صحيح مسلم].

٦. وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى لَيْلَى (رضي الله عنه) قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا) [سنن أبو داود].

٧. وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » [رواه مسلم].

٨. وعن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ

نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) [صحيح البخاري].

٩. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً : فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» [صحيح مسلم].

ثالثا الموضوع:

لقد عُني الإسلام بالأوطان عناية فائقة ، لما لها من مكانة عالية وشأن عظيم في حياة الناس ، ولما للوطن من فضل كبير على الإنسان في تربيته وتنشئته ، ولما له من آثار عليه في جميع مراحل حياته ، لذا كان ارتباط الإنسان بوطنه وحبه لبلده الذي ترعرع على ثراه مسألة متأصلة في النفس، وفطرة فطر الله – تعالى– الإنسان عليها ، فهو مسقط الرأس، ومهد الصبا ، ومرتع الطفولة، وملجأ الكهولة ، وموطن الآباء والأجداد، ومأوى الأبناء والأحفاد ، وهو مستقر الحياة ، على أرضه يحيا الإنسان ، ومن خيراته يعيش، ومن مائه يرتوي.

لذلك اهتم الإسلام بالأوطان كاهتمامه بالأشخاص لما بينهما من ترابط ، فقد أعلى الإسلام من قيمة الوطن وأهميته ، وإبراز مكانته ، وحبه والاعتزاز به ، فقرن بين حب الوطن والنفس والأهل ، قال تعالى :{وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ}[النساء: ٦٦].

وقد أكد النبي (صلى الله عليه وسلم) على مكانة الوطن وأهميته وشرف الانتماء إليه حين هاجر من مكة إلى المدينة ، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ) ، وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى الْحَزْوَرَةِ فَقَالَ: (عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ) [مسند أحمد]. ولما شرع في بناء الدولة الجديدة أراد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن يعلم أصحابه (رضوان الله تعالى عليهم) والدنيا كلها أن الأوطان لا يسعى لبنائها إلا من أحبها ، فكان من دعائه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ما جاء عن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ : قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ » [رواه البخاري]. وأشار (صلى الله عليه وسلم) بِيَدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ثم قال: « اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا – أي طرفيها – كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا » (صحيح البخاري).

ومما لا شك فيه أننا هذه الأيام في حاجة ملحة– أكثر من أي وقت مضى – إلى تعميق وترسيخ الانتماء الوطني ، والإحساس بقيمته وأهميته ، وإعلاء المصلحة الوطنية على أي مصالح أخرى ، والمتأمل في نصوص القرآن الكريم ، وأحاديث النبي العظيم (صلى الله عليه وسلم) يجدها تحضُّ على حب الوطن والاعتزاز به ، والمحافظة عليه ، والدفاع عنه ، وغير ذلك من الحقوق الواجبة للوطن على أبنائه.

ومِن حقوقِ الوطن على أبنائه: حبه والحفاظ عليه والدفاع عنه ، فحب الوطن من أغلى ما يملكه الإنسان بعد الدين ، والحفاظ عليه واجب مقدس ، والدفاع عنه والتضحية من أجله ركيزة أساسية في حياة الإنسان ، ومن ثم فلا يجوز المساس بمرافقه العامة ، فهيَ ملكٌ لجميعِ أبنائِهِ ، وتخريبها إضرار بمنافع الناس ، فإن المرء ليأسف حينما يرى من يقدم على تخريب مرفق عام كبيراً كان أم صغيراً ، لأن ذلك يعدُّ من باب الإفساد في الأرض ، يقول الحق سبحانه :{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[الأعراف: ٥٦] ، ويقول سبحانه:{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}[الأحزاب: ٥٨]. ومن ثم يجب حماية الوطن من أعدائه المتربصين به ، وتجنب كل ما يؤدي إلى الإخلال بأمنه؛ لأن نعمة الأمن والاستقرار أول من ينعم بها أبناء الوطن.

كذلك من حقوق الوطن على أبنائه: الوقوف أمام دعاة الفتنة والفوضى والهدم والتحذير من استهدافه ومحاولات تفكيكه ، والوقوف بحسم في وجه من يضر بمرافقه أو يسهم في ذلك ، أو يتآمر مع الغير ضد مصالحه ، والتحذير من المحاولات التي تستهدف الوطن ، وتعمل على إثارة الفوضى والشغب والفتن ، والعمل على تفكيكها ، بالتعاون والاتحاد ، قال تعالى:{.... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[المائدة :٢]. ولقد علمنا الإسلام منهجاً واضحاً لوقاية الأمة من القلة التي تفسد ولا تصلح ، وتهدم ولا تبني ، وتخرب ولا تعمر ، قال تعالى:{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[الأنفال:٢٥] .

وقد رسم النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا المنهج فيما جاء عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)[صحيح البخاري]. ومن ثم يجب الأخذ على أيدي المفسدين العابثين بالوطن ، وتحذير الناس منهم ،حتى لا يوردونا الهلاك .

إن استهداف الوطن بإثارة الفوضى والهدم ليس من قيم الإسلام ولا مبادئه ، ولا تشريعاته ونظمه ، فكل من يخطط لإثارة الفوضى ، والتطرف والهدم والتخريب ، وتفكيك المجتمع بدعوى الإصلاح ، وما ينشأ عن هذه المخططات من سفك الدماء وترويع الآمنين لا صلة له بالإسلام ، فهي تؤسس للفساد في الأرض ، وإشاعة الرعب واستهداف أمن البلاد ، يقول الحق سبحانه : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٦].

وقد نهى ديننا الحنيف عن ترويع الآمنين ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ) [صحيح مسلم] ، وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى لَيْلَى قَالَ :حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا) [سنن أبي داود] .

كما تبرأ الإسلام ممن يحمل السلاح على أبناء الوطن ، لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (من حمل علينا السلاح فليس منا) [صحيح البخاري] . وحذر من إثارة الفتن التي أعد لها المفسدون في البلاد وروجوا لها ، وبيَّن أن مظاهر إثارتها في الوطن متنوعة ، والدافع إليها إما فكر منحرف . أو مخطط غربي ، ومؤامرات تهدف إلى إسقاطه والنيل من استقراره ، وتدميره وتفكيك تماسك أبنائه ، وسلاحهم في تحقيق ذلك شباب مغرور بسياستهم الخادعة ، وأفكارهم الوهمية جنَّدوهم لإحداث خلل في أمن البلاد ، إلا أن الله حمى هذا البلد من مكر أعدائه بفضل العقلاء من أبنائه.

إن الدين الإسلامي دعا أتباعه إلى الوحدة والتكاتف ، والتعاون والتآلف ، والتعاطف والتضامن، والأخوة والتآزر ، حتى يكونوا جميعًا كالجسد الواحد من أجل بناء وطن آمن مستقر ، وبذلك جاءت النصوص الشرعية من كتاب الله – تعالى– وسنة رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فقال تعالى :{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[آل عمران:١٠٣]. وقال سبحانه:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}[المائدة:٢].

وجاءت الأحاديث النبوية تحث المسلمين على ضرورة الوحدة والتضامن فيما بينهم ، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي

تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[رواه مسلم]، وعَنِ عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قال : قال رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ ، وَلاَ يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [متفق عليه].

فوحدة الأمة واصطفافها والتنسيق فيما بينها – في جميع المجالات – مطلب أساس لا غنى عنه لأي أمة تريد الفلاح والتقدم والرقي ، ومواجهة الشدائد والتحديات ، يقول الحق سبحانه :{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[الحجرات:١٠] ، فالأمة التي يريدها الإسلام أمة واحدة متآلفة متعاونة ، يقول تعالى:{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}[الأنبياء:٩٢] ، ويقول سبحانه:{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}[المؤمنون:٥٢].

ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) – داعيًا إلى الاتحاد ووحدة الصف ، ناهيًا عن التفرق والاختلاف– : « إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ» [رواه مسلم]. ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ) (صحيح البخاري). فلابد من المسارعة إلى وحدة الصف، والتعاون، ونبذ الاختلاف والتمزق بين أبناء الوطن الواحد ، والتمسك بالأخوة الإسلامية وتطبيقها في شتى ميادين الحياة.

إن وحدة الصف تشكل قاعدة أساسية من أجل الوصول إلى سلامة الأمة من أخطار التفرق والتشرذم ، وتبرز أهميته في المرحلة الراهنة حيث ينادي المغرضون دعاة الفتنة والتخريب ويروجون لبضاعتهم الكاسدة والهدف منها النيل من هذا الوطن العظيم.

وكما دعا الإسلام إلى الوحدة والتآلف نهى وحذر من التفرق والاختلاف ، فهما سببان رئيسان لكل ضعف وانكسار ، يقول الله تعالى:{وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[آل عمران:١٠٥]، ويقول سبحانه: {وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[الأنفال:٤٦]. فإن الاختلاف والتفرق بين المسلمين له خطورته وأضراره البالغة ، مما يتسبب في تفكيك الأمة وتمزيق أوصالها ، وهدم وحدتها ، وتفريق كلمتها ، وتبديد طاقاتها المادية ، والعسكرية ، والفكرية.

إن واجبنا في هذه المرحلة التي يمر بها وطننا العزيز – مصر – أن نسعى جاهدين متعاونين متكاتفين جميعًا – مسلمين وغير مسلمين – على حماية أمن الوطن والدفاع عنه ، وحمايته من أي عدو

يناوئه ، أو أي خطر يتهدده ، وأن نكون عيونا ساهرة لحماية أمنه ، وأن نتكاتف جميعًا وبلا استثناء لردع كل من تسول له نفسه أن يجترئ على وطننا.

إننا بحاجة إلى مراجعة الحسابات ، ومقاطعة الانتماءات التي تهدم ولا تبني ، وتفسد ولا تصلح ، وتهدف لإثارة الفتن والاضطرابات ، ولنا أن نأخذ العبرة والعظة من حال الشعوب التي سقطت دولها في الفوضى والاقتتال الداخلي ، فمن ينظر إلى حال دول شقيقة قريبة منا استجاب بعض أهلها للدعوات الهدامة الخبيثة يراها وقد امتلأت بمصائبها ومحنها ومشاكلها وهمومها من قتل لأنفس بريئة ، ومن هدم لآثار الحضارة والعمران بها ، ومن نشر للفوضى ومن تشريد وتهجير لأبنائها ، فتخطفهم ريح الغربة والخوف ، و لا يدري أين المستقر بهم إلا الله . ومن ثم فلنعتبر بهم ، فالاعتبار بالآخرين منَّةٌ من الله تعالى على العقلاء من عباده ، بينما الغفلة وعدم الاتعاظ والاعتبار خذلان وانتكاسة.

ولقد دعانا الحق – سبحانه وتعالى– في كثير من آيات القرآن الكريم إلى الاعتبار والنظر، والتأمل والتفكر ، والاتعاظ والتدبر ، والنظر في حقائق الأشياء ، حتى نتعرف على سنن الخالق سبحانه وتعالى الكونية في خلقه ، فلقد خاطب القرآن الكريم المسلمين بعد غزوة بني النضير بقوله تعالى: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}[الحشر: ٢] حتى يعتبروا من حال اليهود في تلك الغزوة عندما أصروا على الكفر والعناد ونقض العهود ، وحاولوا نشر الفوضى في المدينة المنورة ومدوا أيديهم بمساعدة أعداء الأمة ـ المشركين ـ للنيل من المسلمين ، وقال تعالى – بعدما ذكر حال فرعون الذي طغى وتجبر وتكبر بغير الحق – :{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى}[النازعات: ٢٦] ويقول: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: ٤٦]، وغير ذلك من الآيات القرآنية التي تحث على التدبر والاتعاظ.

نحن اليوم وفي هذا الوقت خاصة في حاجة ماسة إلى التذكر والاعتبار من حال تلك الدول التي سقطت في براثن الفوضى حتى لا ننسى النعمة العظيمة التي أنعم الله (عز وجل) بها علينا ، وهي نعمة الأمن والاستقرار ولا نغفل عنها ، فيجب علينا أن نكون على بينة من هذا الأمر ، ونحافظ على وحدة الوطن واستقراره ، وحماية مصالحه ، ومواجهة المؤامرات التي تسعى لإضعافه وتفتيته.

أما أصحاب الدعوات المشبوهة المشئومة دعاة الفتنة القتل والتدمير والتخريب وزعزعة أمن الفرد والمجتمع فيجب التصدي لهم والأخذ على أيديهم ، ولنعلم جميعًا أن الشريعة الغراء التي يرفعون شعارها – ظلما وخداعا – من أهم مقاصدها حفظ الدين والنفس وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح . ولنعلم أن أي ضرر يلحق بالوطن سينال الجميع، وما يحدث في البلاد الأخرى خير شاهد على ذلك. لذا

فمن الواجب علينا أن نتنبه لكل المحاولات التخريبية، وأن نقف جميعاً مترابطين لنفوت الفرصة على أعداء هذا الوطن ، ولا نترك لهم الفرصة لتخريبه وتفكيكه.

ولعلنا شاهدنا في الأعوام الأخيرة تطورًا لظاهرة الإرهاب والتخريب !! فالجرائم الإرهابية في تزايد مستمر ولن ينتهي هذا التزايد إلا إذا تكاتف الجميع صفًا واحدًا لمواجهتها ، والعمل معًا على القضاء على جميع خلاياها وتنظيماتها الإرهابية ، لبناء مجتمع قوي ، له أثره العظيم في وحدة الأمة وتماسكها ، وفي توطيد العلاقات بين جميع أفراد الوطن الواحد.

ومن أجل ذلك يجب الاصطفاف صفًا واحدًا من أجل بناء مجتمع متماسك ، قادر على مواجهة الإرهاب والجماعات الإرهابية التي يتعرض لها ، فظاهرة الإرهاب تعدّ من أخطر التحديات الداخلية التي تواجه البلاد ، وتسعى إلى القتل والتدمير للأبرياء دون تمييز بين طفل وامرأة وشيخ وشاب ، تحت شعار إسلامي ، مع أن الإسلام براء من كل ذلك ، فقد حرم الدماء والأعراض والأموال ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز :{وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ}[الأنعام:١٥١]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) في خطبة حجة الوداع الجامعة: « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هذا ... ، ثُمَّ قَالَ : « أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ » فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «اللهُمَّ اشْهَدْ» (صحيح مسلم ومسند أحمد واللفظ له).

ومن هنا نؤكد على أن التعاون والاصطفاف والوحدة مطلب شرعي وضرورة دينية وواجب وطني ، لمواجهة التحديات التي يمرُّ بها وطننا العزيز ، وحماية أمنه القومي ، بما لا يحتمل أي تسويف أو تأخير في مواجهة التنظيمات والعناصر الإرهابية ، حتى تُستأصل شأفتها ونجتثها من جذورها.

ونختم بالإشارة الهامة إلى البيان الذي أصدرته دار الإفتاء المصرية والذي يؤكد أن دعوات التظاهر في ذكرى ٢٥ يناير جريمة متكاملة ، وتوريط للمصريين في العنف والإرهاب لصالح الأعداء ، وهو أمر محرم شرعًا.